

تنبيه هام: هذا التفريغ ليس قابل للنشر، فلم يعتمد من الشيخ - حفظه الله - بعد، فمن وجد خطأ نرجو تنبيهنا عليه فوراً.

شَرْحُ مَنْظُومَةٍ

حَاثِيَّةِ ابْنِ أَبِي دَاوُدَ

- رَحِمَهُ اللَّهُ -

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ أُسَامَةَ بْنِ عَطَايَا الْعَتِيبِيِّ

- حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى -

:: الدرس الثاني ::



دروس معهد البيضاء العلمية

تفريغ: طالبات معهد البيضاء العلمية

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده و نستعينه و نستغفره، و نعوذ بالله من شرور أنفسنا، و سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له و من يضلل فلا هادي له ، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمدا عبده و رسوله .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران : 102]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء : 1]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ 70 ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب : 70 - 71]

أما بعد ،

فإن أصدق الحديث كتاب الله و خير الهدي هدي محمد - صلى الله عليه و سلم- و شر الأمور محدثاتها ، و كل محدثة بدعة و كل بدعة ضلالة و كل ضلالة في النار .

فمازلت معكم في التعليق على المنظومة الحائية للإمام أبي بكر عبد الله ابن الإمام سليمان ابن الأشعث السجستاني صاحب السنن .

و وصلنا إلى قوله - رحمه الله تعالى -:

وَقُلْ غَيْرُ مُخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِكِنَا *** بِذَلِكَ دَانَ الْأَتَقِيَاءُ وَ أَفْصَحُوا

أي أيها السلفي، يا من تمسكت بالكتاب والسنة عليك أن تقول بأن القرآن كلام ملكنا غير مخلوق و أن هذا المعتقد هو دين الأتقياء الذين جعلوا بينهم وبين عذاب الله وقاية باتباع أوامره و اجتناب نواهيه و بالتمسك بالكتاب والسنة، و لم يكن دينهم مقتصرًا على أنفسهم و في قلوبهم و بألستهم لأنفسهم، بل أفصحوا و أوضحوا و بينوا و دعوا الناس إلى هذه العقيدة السلفية بعبارة فصيحة واضحة لا التباس فيها و لا إشكال .

و إتمامًا لهذا الكلام قال - رحمه الله تعالى -:

وَلَا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا *** كَمَا قَالَ أَتْبَاعُ لِحْجِهِمْ وَ أَسْجَحُوا
وَلَا تَقُلِ الْقُرْآنُ خَلْقًا قَرَأْتَهُ *** فَإِنَّ كَلَامَ اللَّهِ بِاللَّفْظِ يُوضَحُ

في هذه الآيات الثلاثة ذكر عقيدة أهل السنة والجماعة في أن كلام الله - عز و جل - كلامه و صفته و أنه غير مخلوق ، ونبةً إلى أقوال أهل البدع التي يجب على المسلم أن يتجنبها: "وَلَا تَكُ بِدْعِيًّا" كما قال في البيت الأول . و رب العزة و الجلال أمر عباده في سورة الفاتحة أن يدعوه بأن يهديهم و يذللهم و يرشدهم و يوفقهم إلى الصراط المستقيم، و صراط الله المستقيم هو صراط الذين أنعم الله عليهم ؛ و كذلك في ضمن هذا السؤال ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ

عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿﴾ [الفاتحة: 5] ، يعني: جنَّبنا صراط المغضوب عليهم و صراط الضالين، فالإنسان يقتدي بأهل الخير و الهدى و يتجنب حال أهل الضلالة و الردى فيحرص على التحلية و التخلية و دائما يُقدِّم التخلية -يعني غالبا- و يُركِّز على التخلية قبل التحلية فيتخلى من مذاهب أهل البدع و الضلال و يتحلى بعقيدة أهل السنة و الجماعة .

فقال -رحمه الله تعالى-:

"وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِكِنَا":

ففي هذا تنبيه على الحذر من القائلين بخلق القرآن و أول من أفصح بذلك هو الجعد بن درهم الذى ضحى به خالد القسري فقال يوم عيد الأضحى: ((ضَحُّوا تَقَبَّلَ اللَّهُ ضَحَايَاكُمْ فَإِنِّي مُضَحٌّ بِالْجَعْدِ بْنِ دِرْهَمٍ فَإِنَّهُ يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَتَّخِذْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا وَ لَمْ يُكَلِّمْ مُوسَى تَكْلِيمًا)) فنزل من على المنبر و ذبحه أمام الناس .

و الجعد بن درهم مربِّي آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد الملقب بحمار، و هذا الرجل قيل إنه أخذ مذهبه من أبان ابن سمعان، و أبان أخذه من طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم اليهودي، فهي مقالة اليهود وهي مقالة تعطيل الرب - جَلَّ و علا - و العبث و التحريف و التلبس، هي أوصاف اليهود الذى أمرنا الله - عز و جل - أن ندعو في صلاتنا أن يُجنَّبنا صراطهم ﴿﴾ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ -وهم اليهود- و من عِلِم فلم يعمل بعِلْمه و غير صراط - وَلَا الضَّالِّينَ ﴿﴾ الذين هم النصارى و من على شاكلتهم ممن عمل بغير علم فضلَّ و أضلَّ .

*المأمون والإمام أحمد - رحمه الله تعالى -:

و لم يقتصر أهل البدع في تلييسهم و انحرافهم على التصريح بأن القرآن مخلوق ، فهؤلاء كانوا واضحين للناس قد نفر منهم عامتهم، و حذرهم جميع الناس و طار ذكرهم بالشر في الآفاق، و لكنهم لما استطاعوا التلييس على المأمون العباسي، وهو قد اغتر بكتب الفلاسفة و أصبح يُقرّبهم و يُدنيهم فحينئذ وجدوا مدخلا يدخلون به على الأمة، و حيث إن مذهبهم باطل لا يقبله الفطرة السليمة و العقل السوي، فلجؤوا إلى نشر عقيدتهم بقوة السلطان و السلاح فأذوا الناس و أمتحنوهم و أجبروهم على القول بعقيدتهم، و حصلت المحنة المشهورة في الأمة في زمن المأمون و التي ثبت فيها بعض أئمة أهل السنة و على رأسهم الإمام المبحّل أحمد ابن حنبل - رحمه الله تعالى - فقام في وجه هؤلاء الذين دعوا الناس إلى الباطل، و طلبه المأمون إلى -أظن- طوس أو طرسوس - أظن- طوس، طلبه إلى هناك في خراسان فلما كان في الطريق دعا الإمام أحمد ربه أن لا يلقي المأمون فمات المأمون والإمام أحمد في الطريق فرُدَّ إلى بغداد و لكنه أوصى أخاه المعتصم بالله العباسي بالاستمرار بالفتنة . و مازال رفقاء السوء الذين خدعوا المأمون و انخدع بهم، هم جلساء المعتصم فحصل للإمام أحمد الأذى الشديد على يد هؤلاء المجرمين بحضرة المعتصم وهو رجل عامي محب للإسلام و لكنه جاهل لا يعرف العقيدة الصحيحة .

والإمام أحمد - رحمه الله - لما مات المعتصم ترخّم عليه؛ لأنه لا يدري الكلام و لا يدري العلم فعذره بجهله .

المهم أن طائفة الجهمية لما أعلن المتوكل على الله العباسي براءته من هذا

الباطل، الذي كان عليه المأمون و من تبعه و نصرَ السنة، و أطلق الإمام أحمد من السجن، فقويت شوكة أهل السنة كما كانت سابقا قبل فتنة المأمون.

*الجهمية وفتنتهم:

فحينئذ لجأت الجهمية إلى الحيل ولكن في خضم الفتنة العمياء التي أصابت الأمة في زمن المأمون ثم في زمن المعتصم ثم في زمن الواثق وُجد ممن ينتسب إلى السنة من خالف العقيدة السلفية في هذا الباب ، و لم يقل بقول السلف فقالوا بالوقف فقالوا : "القرآن كلام الله و لا نقول غير مخلوق"، و زعموا أن هذه العبارة لم ترد في الكتاب و لا في السنة فلا يقولون بها، و هذا هو الورع البارد .

في زمن المحنة يجب إزاحة الشبهة عن الناس و بيان الحق لهم بيانا جلياً، فلا يكفي فقط بالقول بأن القرآن كلام الله؛ لأن هذه العبارة تقولها المعتزلة الذين امتحنوا الناس بخلق القرآن، فهم مع قولهم القرآن كلام الله يقولون لكنه مخلوق فإذن كيف نستطيع أن نبين للناس العقيدة الصحيحة إذا كنا نردد ما يردده المعتزلة من أن القرآن كلام الله و نسكت؟! لذلك كان لا بد من بيان باطل أولئك و أن القول بأن القرآن مخلوق كذبٌ و افتراء ، و هذا يعرفه كل ذي فطرة سليمة، فالله - جل و علا- هو الخالق فكيف يكون مخلوقاً؟! فهو بصفاته الخالق و ليس هو مخلوق و لا شيءٌ من صفاته مخلوق ، فهذا الورع البارد الذي يدخل منهم.

*رد أئمة أهل السنة والجماعة على الجهمية:

ولقد قام الإمام أحمد -رحمه الله تعالى- في وجه هؤلاء المبتدعة و حذر منهم و وصفهم بأنهم جهمية ، ثم لما نصر الله السنة على يد المتوكل على الله

العباسي، ظهرت الجهمية بشبه جديدة فلم يعودوا يُصَرِّحون بأن القرآن مخلوق بل اتوا ببدعة اللفظ فقالوا: "لفظي بالقرآن مخلوق"، وقالوا "اللفظ و الملفوظ و التلاوة و المتلو"، فجاءوا بعبارات يُلبَّسون بها على الناس، فيقول قائلهم: "لفظي بالقرآن مخلوق" فيسمع السامع و يظن أنه يقصد حركة لسانه و شفثيه و الهواء الخارج منه أنه مخلوق ، لكنهم يرمون بذلك الإجمال ليقنعوا و يُدخلوا عليهم القول بخلق القرآن.

و كما قال ابن أبي داود هنا -رحمه الله- **"فَإِنَّ كَلَامَ اللَّهِ بِاللَّفْظِ يُوضَحُ"** إنما نحن نسمع كلام الله و نفهم كلام الله باللفظ فإذا كان بدون لفظ فكيف سنفهمه و كيف سيكون كلاماً؟! فإن الكلام لا بد أن يكون ملفوظاً و يتكلم به صاحبه، فجاءوا ببدعة لفظية فقالوا: "لفظي بالقرآن مخلوق"، وقالوا: "التلاوة و المتلو سواء وهي مخلوقة"، إذن جاءوا بهذه البدع لإدخال التجهم على الناس .

*التحذير من الواقعة:

فالإمام بن أبي داود يُحذّر من هذه الفِرَق فقال **"وَلَا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا"**، يعني لا تقل القرآن كلام الله وتسكت و لا تقول غير مخلوق و لا تعتقد هذا الأمر؛ لأن الذين قالوا بالوقف لم يعتقدوا في قلوبهم أن القرآن غير مخلوق بل انصرفوا عن هذا الأمر، انصرف قلوبهم عن اعتقاد هذا: أن القرآن غير مخلوق، و هذا اعتقاد فاسد ضال هو كفر بالله؛ لأنه ينافي كلام الله، ينافي ما في كتاب الله، ينافي السنة، ينافي الفطرة السوية، لذلك حذر ابن أبي داود من الواقعة و قال: "هم شر من الجهمية" يعني هم شر من الجهمية المُصرِّحة بخلق القرآن لذلك قال **"كَمَا قَالَ أَتْبَاعُ لَجْهَمٍ وَ أَسْجَحُوا"** فهذا المعتقد وهو الوقف بالقرآن

-أنه لا يقول غير مخلوق، هو قول لبعض الجهمية و ليس لجميعهم؛ لأن الجهمية المحضة يصِرُّ حُون بأن القرآن مخلوق أما هؤلاء الجهمية فإنهم يقولون كلام الله و يسكتون وهم الواقفة .

*التحذير من اللفظية:

ثم جاء شر منهم وهم اللفظية، فقال -رحمه الله-:

وَلَا تَقُلِ الْقُرْآنُ خَلْقًا قَرَأْتَهُ *** فَإِنَّ كَلَامَ اللَّهِ بِاللَّفْظِ يُوضَحُ

يعني لا تقل إن القرآن مخلوقُ قراءةً، أي أن قراءتي بالقرآن مخلوقة و هذا معنى قولهم "لفظي بالقرآن مخلوق" أو "تلاوتي بالقرآن مخلوقة" فكل هذا من أقوال الجهمية .

*التحذير من المبتدعة:

و كلما كان المبتدع أكثر تلبيساً كلما كان أشد خطراً و شراً على المسلمين من غيره ولو كانوا أحسن منه عقيدةً، فتنبهوا لهذا رعاكم الله، فكلما اشتد تلبيس المبتدع كلما ازداد شره؛ لأنه يصيد الناس بهذه الأساليب الملتوية ، لذلك قال ابن الجوزي -رحمه الله- كما نقله الذهبي و غيره: ((زنادقة الإسلام ثلاثة: - يعني الزنادقة الذين انتسبوا إلى الإسلام أو أعظم الزنادقة الذين انتسبوا إلى الإسلام ثلاثة- ابن الرَوْنْدِي و أبو حيان التوحيدي و أبو العلاء المعري -قال- و كان أشدهم خطراً على الإسلام أبو حيان التوحيدي فإنهما صرَّحا وهو مجمع و أجمل)) ، يعني أن أبا حيان التوحيدي لم يصرح بالزندقة في كتبه و إنما لوى و مجمع و خلط و لبس أما أولئك صرَّحوا بالزندقة، فمع شدة تصريحهم بالزندقة كان هذا الذي لم يصرح أشد خطراً على المسلمين لتلبيسه ، فتنبهوا لهذا رعاكم

الله و احذروا من أهل الأهواء، و كلما أظهر المبتدع أنه قريب من السلفية كلما كان كان أشد خطرا على الناس لأنه يُغويهم بما يُظهره من السنة فاحذروا من أهل البدع بشتى صنوفهم و ألوانهم . لذلك جاء في رسالة الإمام أحمد إلى مُسَدَّد بن مُسَرَّهَد تقسيم الجهمية إلى ثلاث أقسام، قال -رحمه الله-: ((أجمع من أدركنا من أهل العلم أن الجهمية افرقت ثلاث فرق فقالت طائفة منهم القرآن كلام الله مخلوق، وهذه هي الجهمية المحضة ؛ -ثم قال الإمام أحمد- و قالت طائفة القرآن كلام الله و سكتت وهي الواقفة الملعونة -هكذا قال الإمام أحمد: وهي الواقفة الملعونة، ثم ذكر الثالثة، قال- و قال بعضهم ألفاظنا بالقرآن مخلوقة. فكل هؤلاء جهمية كفار يُستتابون فإن تابوا و إلا قُتِلوا ، و أجمع من أدركنا من أهل العلم أن مَنْ هذه مقالته إن لم يتب لم يُنَاكحْ و لا يجوز قضاءه و لا تُوَكَّل ذبيحته)).

قال الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية: ((و أما رسالة أحمد بن حنبل إلى مسدد بن مسرهد فهي مشهورة عند أهل الحديث و السنة من اصحاب أحمد و غيرهم تلقَّوها بالقبول و قد ذكرها أبو عبد الله بن بطة في كتاب الإبانة و اعتمد عليها غير واحد كالقاضي أبي يعلى و كتبها بخطه)) انتهى كلام شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى - .

فقول الإمام بن أبي داود - رحمه الله - أرجع إلى الآيات -:

وَلَا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا * كَمَا قَالَ أَتْبَاعُ لِحْجِهِمْ وَاسْجَحُوا**

اسْجَحُوا: يعني لانت نفوسهم و سهل عيهم أن يقولوا هذا القول لشدة كفرهم و نفاقهم و زندقتههم فصار عندهم هذا القول من أسهل ما يكون: أنهم يقفون بالقرآن و لا يقولون غير مخلوق تليسا على الناس ، هذا -يعني- هو الأصل و إن كان قد يشتبه على بعض أهل الحديث و له حينئذ حكم خاص.

لكن هذا هو الأساس: أن مذهب الجهمية الذين يقولون بالوقف و سهل على نفوسهم ليُلبسوا على الناس دينهم و يُدخلوا عليهم مذهب الجهمية . و كلمة "أسجح" ورد في الحديث في صحيح مسلم، حديث سلمة ابن الأكوع، أن النبي -صلى الله عليه و سلم- قال له: **((مَلَكْتُ فَأَسْجَحُ))** لما -يعني- استنقذ إبل الصدقة التي سرقها من سرقها من فزارة و لحقهم، وهي قصة طويلة فسلمة طلب من النبي -عليه الصلاة والسلام- أن يُعطيه رجلا حتى يُلْحَقَهُمْ إلى ديارهم و يقتلهم فقال له رسول الله -عليه الصلاة والسلام-: **((مَلَكْتُ فَأَسْجَحُ))** يعني أحسن و ارفق ، و اسْتَجَاحَ كما يقول النووي - رحمه الله - السهولة أي لا تأخذ بالشدة و ارفق فقد حصلت النكاية في العدو و لله الحمد . وفي نسخة -وهي نسخة "لوائح الأنوار السنية" للسفريني: **"قَالَ أَتْبَاعُ لِحْجِهِمْ وَ اسْمَحُوا"** يعني سمحت نفوسهم بذلك و لعل قوله **"وَ اسْجَحُوا"** أولى والله أعلم .

و قوله - رحمه الله - :

و لَا تَقُلِ الْقُرْآنُ خَلْقًا قَرَأْتُهُ *** فَإِنَّ كَلَامَ اللَّهِ بِاللَّفْظِ يُوضَحُ

في نسخة اللوائح:

و لَا تَقُلِ الْقُرْآنُ خَلْقًا قِرَاءَةً *** فَإِنَّ كَلَامَ اللَّهِ بِاللَّفْظِ يُوضَحُ

و عموماً "قرأته" أو "قراءة" كلها صحيحة في المعنى و المراد بهم اللفظية .

قال "فإنَّ كَلَامَ اللَّهِ بِاللَّفْظِ يُوضَحُ" يعني يستبين و يتَّضح .

ثم قال - رحمه الله - : و انتقل إلى مسألة أخرى وهي رؤية الله - عز و جل - قال :

و قُلْ يَتَجَلَّى اللَّهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةً *** كَمَا الْبَدْرُ لَا يَخْفَى وَ رَبُّكَ أَوْضَحُ

* أدلة رؤية الله تعالى :

مسألة تجلّي الله - عز و جل - هي مسألة رؤية الله - سبحانه و تعالى - ، و مما ورد في كتاب الله - جل و علا - و جاءت به السنة المتواترة عن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و أجمع السلف الصالح عليه : أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة بأعينهم ، بأبصارهم ، لا يُضامون في رؤيته و لا يَصامون في رؤيته يرونه كما يرون الشمس ليس دونها سحب و كما يرون القمر ليلة البدر ، رؤيتهم واضحة جليلة لا شك فيها و لا ارتياب . و الله - جل و علا - رؤيته أوضح من رؤية القمر أو الشمس فهذا المر قد أجمع عليه أهل السنة و صحة به الأحاديث . و تجلّي الله عز و جل هو ظهوره لعباده جهرة أي عياناً و ليس خفاءً ، و الله جل و علا قال في كتابه الكريم : ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ

لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴿الأعراف : 143﴾ ، فقلوه ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ يعني كشف رب العزة و الجلال من الحجاب شيئاً فرآه الجبل فاحترق و صار دكاً و خر موسى صعيقاً، و أبان رب العزة و الجلال بهذا لموسى عليه السلام أنه لا يستطيع أحد من الخلق أن يرى الله إلا هلك و مات ، و رب العزة و الجلال يوم القيامة يُنشئ الناس خلقاً آخر قادر على رؤيته سبحانه و تعالى، و إنما الرؤية للمؤمنين ، و رب العزة و الجلال يقول عن الكفار : ﴿كَأَنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحُجُوبُونَ﴾ [المطففين : 15] فلما حجب أعداءه دل على أنه لم يحجب أوليائه كما قال الشافعي - رحمه الله - .

وقال سبحانه وتعالى ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿22﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة : 22-23] ، و قال سبحانه و تعالى ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق : 35] ، قال - صلى الله عليه و سلم - : ((هو النظر إلى وجه الله عز و جل)) ، كما في مسلم من حديث صهيب . فرؤية الله - عز و جل - يوم القيامة أمر قطعي و مُجمع عليه .

و الله - جل و علا - يتجلى يوم القيامة للخلق جهرة كما البدر لا يخفى و ربك أوضح كما سيأتي الإشارة إلى حديث جرير - رضي الله عنه - الذي أشار إليه ابن أبي داود - رحمه الله - .

ثم قال:

وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ *** وَلَيْسَ لَهُ شِبْهُ تَعَالَى الْمُسَبِّحُ

أتى بهذا البيت بين الأبيات المتعلقة برؤية الله عز و جل ليبيّن أن هذه الرؤية إنما

هي رؤية حقيقية و بدون تشبيه للرب - جل و علا - بالقمر و لا بالشمس بل تشبيه الرؤية بالرؤية، أما الله - عز و جل - لا يشبهه شيء من خلقه و لا يشبه شيئاً من خلقه فهو سبحانه و تعالى كما قال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (1) ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ (2) ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ (3) ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص].
فقال: "وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ" فليس سبحانه و تعالى بمُتَوَلَّدٍ عن أصل فيكون فرعاً فهو نفي للأصل، فالله جل و علا هو الأول فليس قبله شيء .

"وَلَيْسَ بِوَالِدٍ" : فليس له ولد و ليس له صاحبة، فالله جل و علا أئى يكون له ولد و لم تكن له صاحبة، فلذلك فهو ليس بوالد و ليس بمولود ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص : 3].

"وَلَيْسَ لَهُ شِبْهُ" : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى : 11] ، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم : 65] و قال سبحانه و تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص : 4] فالله جل و علا أعلى عن الأنداد و الأضداد قال عن الأنداد: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة : 22] فالله - جل و علا - ليس له نِدٌّ و لا نظير و لا شبهه سبحانه و تعالى .

قال: "المُسَبَّحُ" : أي المُنَزَّه عن كل عيب و نقص، و من أسماء الله عز و جل: السُّبُّوحُ و القُدُّوسُ كما قال سبحانه و تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِيمُنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا

يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ فالله عز و جل من أسمائه هنا في هذه الآية القدوس و في السجود:
 "سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ".

***فضل تنزيه الله سبحانه:**

قال - رحمه الله تعالى -: **"المُسَبِّحُ"** : يعني المُنَزَّه عن كل عيب و نقص، و التَّسْبِيح هو التنزيه و النبي - صلى الله عليه و سلم - كان إذا حصل شيء منه العجب قال "سبحان الله" و كذلك الصحابة - رضي الله عنهم - و من كان قبلنا من الأمم عند التعجب يقولون "سبحان الله" و النبي عليه الصلاة والسلام قال: **((مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَ بِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَ إِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ))** و قال - صلى الله عليه و سلم - : **((مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ اللَّهُ أَكْبَرُ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَ إِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ))** . و فضل التسبيح ورد فيه أحاديث كثيرة جدا جدا، فالإنسان يحرص على تسبيح الله عز و جل و تنزيهه و ذكره بما يليق به سبحانه و تعالى و بما ورد في الكتاب و السنة .

فالله - جل و علا - مُنَزَّهٌ عن كل عيب و نقص، و الإنسان يحرص على تسبيح الله و تنزيهه، و في عدد من الآيات **﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾** **﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾** **﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾** ...
 فالله - جل و علا - مُنَزَّهٌ و سَبَّحَ نفسه و نَزَّهَ نفسه عن كل عيب و نقص .

فذلك لَمَّا نحن نُثَبِّتُ الرؤية ليس في هذا الإثبات أي عيب و لا نقص، كيف و الله - جل و علا - أكرم بذلك أوليائه و النبي - صلى الله عليه و سلم - سأل ربه ذلك و موسى عليه السلام في الدنيا طلب ذلك لكن بَيْنَ الله له أنه لا يكون ذلك في الدنيا و لم يقل له "لا أرى" بل قال **﴿لَنْ تَرَانِي﴾** يعني في الدنيا أما يوم

القيامة فيراه أهل الإيمان ؛ فالله - عز و جل - يُرى في الآخرة و ليس في هذا عيب و لا نقص ؛ و لكنَّ العَجَب أن أهل البدع زعموا أنه يُنزهون الله عن العيب و النقص فلذلك عطَّلوا صفات الله - عز و جل - فقالوا "سبحان المنزه عن الصفات" !! يعني انظروا إلى ضلالهم و كيف خدعهم الشيطان فسبَّحوا الله عما أثبتته لنفسه و أثبتته له رسوله - صلى الله عليه و سلم - .

*قواعد أهل السلف في الأسماء والصفات:

فلذلك التنزيه لا بد أن يكون مع عدم التعطيل ، فأهل السنة عندهم ثلاثة أصول:

- الأصل الأول: إثبات بلا تمثيل .

+الأصل الثاني: و تنزيه بلا تعطيل .

+الأصل الثالث: قطع الطمع عن إدراك كيفية صفات الرب - جل و علا - .

فينزه الله - عز و جل - عن العيب و النقائص مع نفي التعطيل و عدم نفي ما أثبت الله - عز و جل - لنفسه و ما أثبتته له رسوله - صلى الله عليه و سلم - له فنزه الله بما ورد في الكتاب و السنة و لا يكون العيب أبداً بما أثبتته الله لنفسه و ما أثبتته له رسوله - صلى الله عليه و سلم - .

فالله - جل و علا - ليس منزهاً عن صفات الكمال بل هو منزّه عن صفات العيب و النقص ، فانتبهوا لذلك رعاكم الله .

لذلك جاء بهذا البيت بعد أن تكلم عن صفة التجلي لله - جل و علا - حتى يتوهم متوهم أن هذا التجلي فيه تشبيه للخالق بالمخلوق أو فيه خلاف تنزيه الله - جل و علا - المأمور به .

ثم قال مبيناً تنزيه الجهمية الباطل: "وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ هَذَا":
يعني أن الله - جل و علا - يُرى و يتجلى يوم القيامة لعباده و نراه كالقدر كما نرى
القدر - و البدر يعني القمر ليلة الثالث عشر و الرابع عشر و الخامس عشر،
يكون القمر مكتملاً - .

وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ هَذَا *** وَ عِنْدَنَا بِمُصَدَّقٍ مَا قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَرَّحٌ :
يعني قد ينكر الجهمي ما ذكرناه من تجلي الله - عز و جل - لعباده يوم القيامة
جهرة كما البدر لا يخفى، و عندنا يا أهل السنة حديث صريح يتضمن ما قلته
سابقاً و ما يعتقده أهل السنة في ذلك ؛ "وَعِنْدَنَا بِمُصَدَّقٍ مَا قُلْنَا" : يعني في
البيت الذي قبل السابق:

وَقُلْ يَتَجَلَّى اللَّهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةً *** كَمَا الْبَدْرُ لَا يَخْفَى وَ رَبُّكَ أَوْضَحُ
قال بمصدق ما قلنا حَدِيثٌ مُصَرَّحٌ يعني واضح و صريح في ما قلناه .
رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالٍ مُحَمَّدٍ *** فَقُلْ مِثْلَ مَا قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجَحُ

فهذا الحديث الذي ذكرت لك في البيت الذي قبل هذا قد رواه جرير عن النبي -
صلى الله عليه و سلم - فقل بمثل ما قال رسول الله - صلى الله عليه و سلم -
تكون من الفالحين و الناجحين . و هذا الحديث لم ينفرد به جرير - رضي الله
عنه - و إن كان هذا الحديث عن جرير هو أشهر ما في الباب، حديث جرير هو
أشهر ما في الباب و لكن قد تابعه عدد من الصحابة - رضي الله عنهم - ، و
المقصود بحديث جرير - رضي الله عنه - ما خرَّجه البخاري و مسلم عن جرير
قال: ((كنا عند النبي - صلى الله عليه و سلم - فنظر إلى القمر ليلة - يعني البدر -

فقال: ((إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تَغْلِبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا)) ثم قرأ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه : 130]]. .

فهذا الحديث عن جرير و فيه تشبيه الرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي تابعه عليه أبو هريرة - رضي الله عنه - في صحيح مسلم و أبو سعيد الخدري في الصحيحين و كذلك من حديث جابر و من حديث غيرهم من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يبلغ عددهم حد التواتر .

و حديث جرير متفق عليه مُجمع على صحته و كذا حديث أبي هريرة و كذا حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنهم جميعا - ؛ فإثبات هذه الرؤية بهذا الوصف كما ورد في البيت هذا أمر لم ينفرد به جرير ؛ و لكن لشهرته نَسَبَهُ إلى جرير فقط و لم يذكر حديث غيره ؛ لأنه و إن كان يوافقه فليس في الشهرة كحديث جرير - رضي الله عنه - .

فجرير بن عبد الله البجلي روى هذا **رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالٍ مُحَمَّدٍ** - صلى الله عليه و سلم - **فَقُلْ** أيها السلفي مثل ما قد قال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - في هذا الحديث و في غيره من الصفات **تَنْجَحُ** و تكون من الناجحين الفالحين في الدنيا و الآخرة .

ثم قال رحمه الله تعالى:

وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ أَيْضًا يَمِينَهُ * وَ كِلْتَا يَدَيْهِ بِالْفَوَاضِلِ تَنْفَحُ**

يعنى أن الجهمي إضافة إلى إنكاره صفة الكلام لله - جل و علا - و إضافة إلى إنكاره رؤية الله - جل و علا - هو كذلك ينكر صفة اليدين لله - سبحانه و تعالى -

و صف اليمين باليمين كل هذا ينفيه الجهمية؛ لأن الجهمية ينفون عن الله - عز وجل - جميع الصفات سواء كان صفات الذات التي هي كاليدين و الوجه و العلو و نحو ذلك أو الصفات التي هي الصفات الخيرية المتعلقة بالمشيئة فإنهم أيضا ينكرونها، فالله - جلَّ و علا - صفاته إما ذاتية ملزمة لذاته و إما متعلقة بالمشيئة كالاستواء و المجيء و الضحك و الرضا و نحو ذلك، فالجهمية ينكرون كل هذه الصفات، كل هذه الصفات يتركونها و كذلك مَنْ كان على درهم من أهل البدع و الزيغ و الضلال كالمعتزلة و الأشاعرة و الماترودية كُلُّ حَسَبَ ما عنده من البدع يكون عنده من النفي ما شابه به هؤلاء الجهمية .

***الأدلة على صفة اليمين لله سبحانه وتعالى:**

فهؤلاء الجهمية ينفون عن الله - جلَّ و علا - صفة اليمين و الله - جلَّ و علا - قال لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي﴾ [ص: 75] ، و قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: 64] ، و قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: 67] ، و النبي - صلى الله عليه و سلم - قال: ((يَطْوِي اللَّهُ تَعَالَى السَّمَاوَاتِ بِيَمِينِهِ وَ الْأَرْضَ بِيَدِهِ الْأُخْرَى)) و في الحديث: ((كِلْتَا يَدَيَّ رَبِّي يَمِينٌ)) ، كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص (و الحديث في صحيح مسلم): قال رسول الله - صلى الله عليه و سلم -: ((إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ وَ كِلْتَا يَدَيَّ رَبِّي يَمِينٌ يَغِطُّهُمْ الْأَنْبِيَاءُ وَ الشُّهَدَاءُ)) فهذا الحديث الصحيح فيه إثبات صفة اليمين لله - سبحانه و تعالى -

كما في كتاب الله: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ - . و الرسول - صلى الله عليه و سلم - ذكر في أحاديث عديدة ما يتعلق بيدي الله سبحانه و تعالى كما في الحديث المشهور: ((إِنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ وَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَ ذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا)) و هذا أيضا في الصحيح، ففيه إثبات صفة اليد لله سبحانه و تعالى .

و قال النبي - صلى الله عليه و سلم - كما في الصحيحين من حديث ابن مسعود و غيره: ((إِنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ الْأَرْضَ عَلَى إصْبَعٍ وَ الشَّجَرَ عَلَى إصْبَعٍ وَ الْجِبَالَ عَلَى إصْبَعٍ... الحديث)) ، و كذلك يقول النبي - صلى الله عليه و سلم - : ((يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفَقْ أَنْفَقْ عَلَيْكَ)) و قال - صلى الله عليه و سلم - : ((يَمِينُ اللَّهِ مَلَأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةً، سَحَاءُ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ، وَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَ بِيَدِهِ الْآخِرَى الْفَيْضُ - أَوِ الْقَبْضُ - يَرْفَعُ وَ يَخْفِضُ)).

إذن قوله - رحمه الله - :

وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ أَيْضًا يَمِينَهُ *** وَ كِلْتَا يَدَيْهِ بِالْفَوَاضِلِ تَنْفَعُ

وفي نسخة اللوائح: **تَنْضَحُ** ، و سواء قيل ينفح أو ينضح فكلاهما - يعني - بمعنى قريب من بعضهما؛ لأن نَفَحَ الطيبُ أي انتشر يعني فيه نوع من الانتشار، و نَضَحَ: فيهما نوع من السهولة **فالنَّضْحُ** بمعنى السهولة و كذا **النَّفْحُ** ، فهنا "تنفح" أو "تنضح" و الظهر أنها تنفح و منه تعرضوا لنفحات الله.

فالنَّفْحُ يأتي بمعنى الفَوْح، يقول نَفَحَ الطيبُ أي فاح و ظهرت رائحته ، و هكذا

هنا: نفحات الله أي مواطن الرحمة و التي يظهر فيها إثابة الله لعباده و قرب إجابته - سبحانه و تعالى - ، و النفع كذلك يعني العطاء فيأتي النفع بمعنى العطاء أيضا . فيدا الله عز و جل بالفواضل تنفع، يعني بالأمور الفاضلة الحسنة الجميلة تُعطي و تنفح .

*الخاتمة:

و أسأل الله - جل و علا - أن يُكرمني و إياكم بالثبات على السنة و أن يختم لي و لكم بخير و أن يوفقني و إياكم لما فيه الخير و الصلاح و أن يكفيننا شر الأشرار و كيد الفجار ، و الله تعالى أعلم و صلى الله و سلم على نبينا محمد ، و الحمد لله رب العالمين .